

صنعاء وفارس ولأء منذ وقت النبوءة

شاب ىمشى فى الصحرأء!

شابٌ فى السادسة والعشرين من عمره؁ ىسير فى الصحرأء؁ ومعه عدد قليل من الرجال؁ وقد عقد العزم على أمرٍ لو أخفق فىه ربما تغىّر مسار حىاته كلها.

كان ذلك فى شوال سنة ١٣١٩هـ.

بلغ عدد رجاله فى المرحلة الأخيرة ثلاثة وستين رجلاً؁ أبقى منهم ثلاثة وعشرين عند الركائب والمؤن؁ وتقدّم بأربعين نحو الرياض؁ ثم تسلل إليها مع نفر من رجاله؁ حتى جاء صباح الخامس من شوال؁ فاستردّ الرياض؁ ذلك الشاب هو الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود؁ رحمه الله.

نهاية القصة أم بداية القصة !

ولم يكن استرداد الرياض نهاية قصة؁ بل كان بداية قصة؛ فمنها انطلقت مسيرة طويلة امتدت سنوات؁ حتى

جمع الله على يديه مناطق هذه البلاد، ووحد شتاتها، وأقام
كيان المملكة العربية السعودية.

عباد الله، لم تكن القضية مجرد اتساع حدود، ولا
تبديل أسماء على الخرائط؛ بل كان من أعظم آثار اجتماع
البلاد: الأمن.

فالجزيرة التي عرفت التفرق والنزاع، وخوف
المسافر، وقطع الطريق، أصبحت طرقها آمنة، واجتمعت
كلمتها بعد فرقة، وأمن الناس على دمائهم وأموالهم
وأعراضهم، ومن ولد في الأمن قد لا يعرف قدر الأمن.

الداخل مفقود والخارج مولود !

إنما يعرف قدره من ودّع أهله وهو لا يدري أيعود
إليهم أم لا، ومن خاف على ماله في الطريق، ومن عاش
في بلد لا سلطان فيه يردع الظالم وينصف المظلوم. وكان
الحاج في الأزمنة الماضية يخرج من أهله في رحلة
محفوفة بالمخاطر، من سلب وقطع طريق وقتل، حتى
اشتهرت كلمة تصوّر مشقة تلك الرحلات: «الذاهب

للحج مفقود، والعائد منه مولود)).

ولهذا قرن الله نعمة الأمن بنعمة الطعام، فقال سبحانه:

﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ قریش: ٤ وقال

سبحانه ممتناً على أهل الحرم: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا

يُجِئُ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ القصص: ٥٧

فالأمن نعمة لا يعرف تمام قدرها إلا من فقدوها.

شكيب أرسلان يصف التحول !

ثم دارت الأيام، وحجَّ الأمير شكيب أرسلان سنة ١٣٤٨هـ، وسار يوماً من مكة إلى الطائف، وكانت معه عباءة أحسائية سوداء، فسقطت منه في الطريق ولم يشعر بها، وبقيت العباءة ملقاةً على قارعة الطريق!

تمر بها القوافل، ويراهها المسافرون، فلا تمتد إليها يد، بل أخذ الناس يتكبون عنها، حتى بلغ خبرها أمير الطائف، فأرسل سيارةً أتت بها، ثم أخذ يتحرى عن صاحبها حتى أعيدت إليه.

والعجيب ما ذكره شكيب عن الموضع نفسه الذي

سقطت فيه العباءة؛ فقد قال إنه كان في الماضي تكثر فيه وقائع السلب والقتل، ولا يمر الناس فيه إلا مسلحين. تأملوا الفرق:

مكانٌ كان المسافر لا يمر فيه إلا بسلاحه، يخشى على دمه وماله، ثم تصبح العباءة ملقاةً في الطريق، تمر بها القوافل فلا تمتد إليها يد!

ما الذي تغيّر؟

لقد منّ الله على هذه البلاد بالأمن بعد الخوف، واجتماع الكلمة بعد الفرقة.

وهنا ندرك أن الأمن الذي نعيشه ليس أمرًا عاديًا، وأن المحافظة عليه ليست مسؤولية رجال الأمن وحدهم، بل مسؤولية مجتمع كامل.

وإذا كان الأمن بهذه المنزلة، فإن من أعظم ما يهدمه ويزرع الخوف في المجتمعات: سفك الدم الحرام.

قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ**

من دينه ما لم يُصَب دَمًا حرامًا» (١).

وإذا اجتمع سفك الدماء مع زعزعة أمن البلاد وترويع الأمنين، عظم الخطر واشتد البلاء.

صنعاء... ولاء قديم مع فارس.

ولليمن مع هذه الجزيرة تاريخ قديم، وفي تاريخها مع فارس في زمن النبوة قصة عجيبة تستحق أن تُروى. قبل أكثر من ألف وأربعمائة سنة، كانت اليمن تحت سلطان فارس، وكان باذان واليًا عليها من قبل كسرى.

فلما بعث النبي ﷺ إلى كسرى كتابًا يدعو فيه إلى الإسلام، غضب كسرى ومزق كتاب رسول الله ﷺ، ثم كتب إلى عامله باذان في اليمن يأمره أن يبعث إلى هذا الرجل الذي ظهر في الحجاز من يأتيه به. فبعث باذان رجلين إلى المدينة، وجاءا إلى رسول الله ﷺ برسالة الملك الذي كانت تخضع له فارس واليمن.

(١) رواه البخاري.

ولكن المفاجأة لم تأت من فارس، وإنما جاءت من المدينة!

أخبرهما رسول الله ﷺ أن الله قد سلط على كسرى ابنه فقتله. فعادا إلى باذان، وانتظر باذان الخبر، فإذا الخبر يأتي من فارس بمقتل كسرى كما أخبر النبي ﷺ، فعرف باذان أن هذا ليس كلام ملك ولا متنبئ، وإنما خبر نبي يوحى إليه، فأسلم وأسلم معه من كان باليمن من الفرس^(١).

وهكذا انتهى سلطان فارس على هؤلاء إلى الإسلام، وأصبح باذان بعد أن كان عاملاً لكسرى مسلماً، ثم مات، فقام بعده ابنه شهر بن باذان.

واليمن بلد الإسلام والإيمان، وأهله أهل فضل، وقد قال فيهم رسول الله ﷺ: «أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ، هُمْ أَرْقُ أَفْئِدَةً وَأَلْيَنُ قُلُوبًا، الْإِيمَانُ يَمَانٌ وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَّةٌ»^(٢)،

(١) الطبقات الكبرى، لابن سعد (٢٦٠/١)

(٢) متفق عليه.

واليمن بلد الإسلام والإيمان، وأهله أهل فضل، لكن فضل البلد لا يزكي كل من انتسب إليه، وإنما يُعرف الرجال والجماعات بأقوالهم وأعمالهم.

الموت لإسرائيل والضرب في مكة.

لكنّ اليمن ابتلي في عصرنا بجماعة الحوثي، التي طالما ملأت أسماع الناس بشعارات العداء لإسرائيل وأمريكا.

ثم انظروا إلى الأفعال لا إلى الشعارات:

في هذا الشهر أعلن الحوثيون أن الملاحة في البحر الأحمر وباب المندب آمنة لجميع شركات الشحن، إلا السفن السعودية!

ثم جاءت الأخبار عن محادثاتهم مع الجانب الأمريكي في مسقط، وأنهم لا ينوون استهداف السفن الأمريكية، ولا السفن الإسرائيلية، ولا غيرها من السفن التجارية؛ ويبقى الاستثناء: السفن السعودية.

فاسألوا بعد ذلك: أين الشعارات؟!

السفينة الإسرائيلية تمر، والسفينة الأمريكية تمر،
والسفينة السعودية تُهدّد!
وهنا تعرف الأمم والجماعات بأفعالها لا بشعاراتها.

وَلْيَبْنِ

١٤ / ٤ / ١٤٤٨ هـ

أ.د. عاصم بن عبدالله بن محمد آل حمد